الرسول
مبلغ عن ربه

الرسولُ ﷺ
مبلِّغٌ عن ربِّه

يقول الله ـ تعالى ـ مُخاطباً عبدَهُ ورسولَهُ محمداً ﷺ باسم الرسالة، وآمراً له بابلاغ جميع ما أرسله الله به ـ:

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾.[1]

وقد امتثل ﷺ ذلك، وقام به أتمَّ قيام.

قال البخاريُّ عند تفسير هذه الآية:

عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ: « مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَدْ كَذَبَ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ .... الآية ﴾ ».[2]

وفي الصحيحين عنها ـ أيضاً ـ أنها قالت:

« وَلَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ، لَكَتَمَ هَذِهِ الآيَةَ ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [3] ».[1]

---

(1) المائدة: ٦٧.

(2) البخاري: كتاب التفسير.

(3) الأحزاب: ٣٧.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: « مِنَ اللَّهِ الرِّسَالَةُ، وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَلاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ ».[2]

وقد شهدت له أُمَّتُه بإبلاغ الرسالة، وأداء الأمانة.

واستنطقهم بذلك في أعظمِ المحافلِ، في خطبته يوم حَجَّةِ الوداع، كما ثبت في صحيح مسلم، عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذٍ:

« وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟ »

قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ، وَأَدَّيْتَ، وَنَصَحْتَ.

فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ ـ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ ـ:

« اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ ».[3]

﴿ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ يعني: إنْ كتمت آيةً مِمَّا أُنزل إليك من ربِّك، لم تُبَلِّغْ رسالته.

إن الرَّسُولَ ﷺ ـ وهو يُبلِّغُ ما أُنزل إليه من ربِّه ـ يواجهُ بهذا الحق من ربِّه ما استحوذ على الناسِ من إيمانٍ بالباطل، وكُفْرٍ بالله « وَمَا جَاءَ أَحَدٌ بمثلِ ما جاء به الرَّسُول ﷺ إلاَّ عُودِيَ » كما قال "ورقةُ بن نوفل" للرسول ﷺ في بداية بَعثته، بل قال له: « يا ليتني فيها جَذَعاً، يا ليتني أكونُ حيَّاً حين يخرجك قومُك ».

---

(1) مسلم: كتاب الإيمان.

(2) البخاري: كتاب التوحيد.

(3) مسلم: كتاب الحج.

قال الرَّسُول ﷺ: « أَوَمُخْرِجِيَّ هُم ؟ »

عداوةٌ من أقربِ الناس إليه وأعْرَفِهم به ! وهم الذين لَبِثَ فيهم عُمُراً من قبل أن يُبعث، وقد أجمعوا على أنه (الصَّادق) الذي لا يكذب، (الأمينُ) الذي لا يَخُون.

وقد تحقَّقَ ما قاله "ورقةُ" من عداوةٍ وصدٍّ، ومَكْرٍ وكيد.

ولم يَقُلْ "ورقةُ" ذلك من عند نفسه، بل بما عرفه من سُنَّةِ الله في الأنبياء من قبل.

وإذا كُنَّا نقرأُ تفصيلَ ذلك كُلِّه في سيرة الرَّسُول ﷺ ـ منذ بعثته، إلى أن لَقِيَ ربَّه ـ فإننا في حاجةٍ ماسةٍ أنْ نرى الرَّسُول ﷺ في القرآن، ونرى القرآنَ فيه.

ولستُ أرى أنَّ الهدايةَ إلى الحقِّ، وإلى طريقٍ مستقيمٍ، تتمُّ بغير اتِّباع هذا السبيل.

أن نرى الرَّسُولَ في القرآن، ونرى القرآنَ فيه.

وذلك ما تضمَّنته الآيةُ الكريمة:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾.[1]

---

(1) الشورى: ٥٢: ٥٣.